الفصل الثالث

الصحــوة الإســلاميــة:

مظاهرها ، أسبابها ، محدودية فاعليتها

obeikandl.com

obeikandl.com

الصحوة الإسلامية

لم تستطع ايديولوجيا القومية العربية أن تفرض التغريب على الأمة، بل جاءت الصحوة الإسلامية في بداية السبعينات معبّرة عن فشل التغريب، والعودة إلى التدين، ونجاح الأمة في المحافظة على ذاتها وشخصيتها وعبرت عن ذلك بعدّة مظاهر، هي:

١- إعمار المساجد:

لقد كثر مرتادو المساجد، وبخاصة من الشباب، وزاد الإقبال على بناء المساجد في الدول الإسلامية وفي أوروبا وأمريكا.

٢- زيادة الإقبال على الحجاب:

زاد إقبال النساء المسلمات على ارتداء الحجاب الشرعي في مختلف الأوساط: الشركات، والجامعات، والمدارس الثانوية، والدوائر الحكومية إلخ...

٣- الفوز في الانتخابات المهنية والعمالية والاتحادات الطلابية والبرلمانية :

فاز الإسلاميون في كثير من الانتخابات، وسيطروا على كثير من النقابات المهنية كنقابة المهندسين، والأطباء، والمحامين إلخ... وتمكنوا من قيادة كثير من الاتحادات الطلابية في كثير من الجامعات من المغرب إلى مصر إلى تركيا إلى باكستان إلخ...، وخاضوا بعض الانتخابات البرلمانية وفازوا في بعضها كما وقع ذلك في اليمن والأردن ومصر والمغرب إلخ...

٤- رواج الكتاب الإسلامي :

ثبت أن الكتاب الإسلامي أكثر الكتب رواجاً وذلك من خلال إحصائيات قامت بها بعض المؤسسات في معارض الكتب المختلفة.

٥- قيادة العمل الخيري في البلدان العربية وآسيا وأفريقيا :

نشأت مؤسسات خيرية في معظم البلدان العربية والإسلامية وبخاصة في الخليج والسعودية، وقامت بإنشاء فروع

obeikandi.com

لها في معظم بلدان أفريقيا وآسيا، وساهمت هذه المؤسسات الخيرية في دفع غائلة الفقر والحرمان عن هذه الشعوب، فأقامت المشاريع الزراعية، وحفرت الآبار، وأسست بعض المشاريع الصناعية لإعالة بعض العائلات، وبنت المستشفيات والمستوصفات، وأسست بعض المدارس والجامعات للمساهمة في العملية التعليمية في تلك البلدان، كما أنشأت بعض الأوقاف التي تساهم في تغذية المشاريع السابقة.

٦- الحضـور الإعلامي الواسـع :

زادت مساحة البرامج الدينية في الإذاعات والتلفازات مما زاد في الحضور الإعلامي للشخصيات الإسلامية، ومما زاد في حجم القضايا الدينية والتاريخية المطروحة، كما زادت عدد المجلات الإسلامية التي تتناول مختلف الموضوعات الإسلامية.

٧- النجاح في إنشاء مؤسسات لا ربوية :

نجح الإسلاميون في إنشاء بنوك لا ربوية، وشركات لا ربوية، وقد استقطبت هذه البنوك والشركات قسماً كبيراً من الجماهير المسلمة التي سعت وراء التنمية الحلال، والربح الحلال،

obeikandi.com

وقد ضاربت هذه المؤسسات اللاربوية البنوك الربوية وأثّرت عليها، مما جعل الأخيرة تضغط على الحكومات من أجل عرقلة حركتها، وقد نجحت إلى درجة كبيرة في تحقيق هدفها لدى بعض الحكومات العربية والإسلامية.

٨- ازدياد المطالبة بتحكيم الإسلام في كل شئون الحياة:

ازداد عدد المطالبين بتحكيم الإسلام في كل شؤون الحياة نتيجة الوعي بأن الإسلام دين ودولة، وأنه لا يكتمل الدين إلا بتحكيمه في كل شؤون الحياة، وأن انفصال الدين عن الدولة في الغرب جاء نتيجة ظروف تاريخية خاصة به أبرزها الخصومة بين الدين والعلم التي لم يعرفها الدين الإسلامي، بل كان الدين والعلم توأمين يعيشان جنباً إلى جنب في تاريخنا، وانبثقت كل العلوم الدنيوية في رحاب المسجد ومن الشريعة الدينية، كما اشتغل علماء الدين بعلوم الدنيا مستهدين بأوامر الدين الإسلامي، ومستفيدين من مظلته.

obeikandi.com

٩- العودة إلى الأصول :

تميزت الصحوة الإسلامية بأنها وضعت المسلم عبر سكة صحيحة فيما يتعلق بعدة أمور شرعية أبرزها: البعد عن التصوف، والبعد عن التعصب المذهبي، والبعد عن الأحاديث الضعيفة، وجعلته بالتالي يتمسك بالعقيدة الصحيحة، وبالحرص على السنة، والأخذ بالأحاديث الصحيحة، وقد جاء هذا التوجه حصيلة جهود عشرات العلماء في القرون السابقة من أمثال الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ومحمد رشيد رضا، والشيخ ناصر الدين الألباني إلخ...، لذلك نجد أنه راجت الكتابات والدراسات التي تصحح العقائد، وتصحح السنة، وتصحح الأحاديث.

١٠- مساهمة الإسلاميين في الجهاد:

غاب الإسلاميون عن الساحة الجهادية في الخمسينات والستينات والسبعينات من القرن الماضي وبخاصة ساحة الجهاد الفلسطيني لعدة ظروف لا مجال للحديث عنها أو شرحها الآن، لكنهم عادوا إلى الظهور في عدة ساحات منها: ساحة الجهاد في

obeikandl.com

أفغانستان، وفي الفليبين، وفي أرتيريا، وفي فلسطين ...، وأصبح لهم دور بارز في الثمانينات والتسعينيات من القرن الماضي في الجهاد في قضية فلسطين، وهذا الدور أحد إفرازات الصحوة الإسلامية.

بعد أن عرفنا مظاهر الصحوة الإسلامية، فما أسبابها؟ وما العوامل التي أدت إلى قيامها؟

obeikandl.com

أسباب قيام الصحوة الإسلامية

لم تقتصر الصحوة على بلد واحد أو منطقة واحدة، بل شملت بلداناً متعددة ذات ظروف تاريخية مختلفة تمتد من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب، منها: تركيا، الأردن، مصر، فلسطين، تونس، الجزائر، السعودية، الكويت إلخ... وقد قامت في تواريخ متعددة، والأرجح أن تركيا كانت أسبق من غيرها في الصحوة كما كانت أسبق من غيرها في التغريب، ونحن سنجمع الأسباب التي ذكرها الدارسون كتعليل لهذه الظاهرة، وسنبيّن رأينا في صوابية كل منها.

١- نكسة حزيران ١٩٦٧م:

ذكر بعض الدارسين أنّ الصحوة الإسلامية جاءت نتيجة هزيمة العرب في مواجهة اليهود سنة ١٩٦٧م، وعلّلوا ذلك بأنّ الشعوب تلجأ إلى القيم الغيبية لمواجهة الانتكاسات وللتهرب من الواقع المرير، ومن الذي روّجوا لهذا التحليل حسين أحمد أمين في عدد من مقالاته. لكن هذا التعليل غير صحيح لأنّ هناك بلاداً

obeikandl.com

قد ظهرت فيها صحوة إسلامية ولا علاقة لها نهائياً بالنكسة مثل تركيا وتونس، ولكننا يمكن أن نقبل القول بأنّ نكسة حزيران ١٩٦٧م كان لها دور في توقيت ظهور الصحوة وذلك لاضطرار الحكام إلى تخفيف قبضتهم عن الشعوب الإسلامية بسبب هزيمتهم أمام اليهود، واضطرارهم إلى السماح بهامش من الحرية مما جعل الشعوب تستفيد من هذا الهامش وتعبّر عن الحقيقة الكامنة في داخلها ووجدانها.

٢- حاجة بعض الحكام لمواجهة التيارات اليسارية:

علّل بعض الدارسين اليساريين وجود الصحوة الإسلامية بأنها ثمرة إطلاق الحكام ليد الإسلاميين في العمل السياسي من أجل مواجهة الحركات اليسارية، وأشاروا بهذا الصدد إلى إطلاق أنور السادات يد الحركة الطلابية في مصر لمواجهة الشيوعيين واليساريين من أتباع جمال عبد الناصر في الجامعات المصرية بعد عام ١٩٧٠م، وأشاروا كذلك إلى سماح بورقيبة للإسلاميين بالعمل في تونس من أجل الحد من نفوذ التيار الشيوعي هناك.

إنّ هذا الكلام الذي يقوله اليساريون قابل للنقـــاش، ولا يسلّم به على إطلاقه، ولكن لنفترض جدلاً صحة مـــا يقولـــه اليساريون، فهذا يعني أنّ الحكام أرادوا الاستفادة مـــن ظـــاهرة موجودة، ولم يُوجدوا هذه الظاهرة، وهذا ما نريد أن نصل إليه وهو أنّ الصحوة الإسلامية حقيقة منبثقة عن واقع حياة المجتمـــع المسلم ومرتبطة به، وذات جذور وأصول بعيدة وليست من صنع الحكام.

٣- الظروف الاقتصادية السيئة:

أشار كثير من الدارسين وبالذات الغربيين إلى أنّ الصحوة الإسلامية ثمرة الظروف الاقتصادية السيئة التي تمر بها بعض بلدان العالم الإسلامي، وأنّ القيادات الإســـلامية تســـتغل الظـــروف الاقتصادية السيئة للزج بالشباب في "أتون الأصولية"، ومما ينفي زعم أولئك الدارسين أنّ الصحوة الإسلامية لم يقتصر انتشـــارها على البلدان التي تعاني أزمات اقتصادية، بل امتد انتشـــارها إلى البلدان المستقرة والمزدهرة اقتصادياً مثل الخليج العـــربي بعامّـــة والكويت بخاصة، وربما كان العامل الاقتصادي سبباً في تســـريع

obeikandl.com

انتشارها لكنه لم يكن عاملاً أساسياً في إيجادها بحال من الأحوال.

٤- الثورة الإيرانية:

عزا بعض الدارسين انبثاق الصحوة الإسلامية إلى قيام الثورة الإيرانية في طهران عام ١٩٧٩م، وإلى تأثيرها الإعلامي في محيطها الإسلامي، لكن نسي أولئك الدارسون أنّ الثورة الإيرانية شيعية المذهب، لذلك فمن الصعب أن يكون لها تأثير في محيط سني المذهب وبخاصة إذا علمنا أنّ الصحوة الإسلامية قامت في بلاد سنية المذهب، وإذا كان لابد لنا من الإقرار بالتأثر والتأثير فهو أنّ الثورة الإيرانية حركت مشاعر المسلمين، وأذكت أملهم بإمكانية الانتصار، ودفعتهم إلى حلبة التنافس والتسابق مع إخوانهم الآخرين.

٥- انتشار المد الأصولي:

رصد بعض الدارسين أصولية متنامية خلال الفترة الماضية على مستوى الكون لدى جميع الأديان اليهودية والكاثوليكية والهندوسية والبوذية إلخ... وعلّلوا تلك الظاهرة الأصولية بسقوط

obeikandl.com

الاتحاد السوفييتي الذي يقوم على الإلحاد والذي هو خصم لكل الأديان، واعتبروا الصحوة الإسلامية جزءاً من تلـــك الظـــاهرة، لكن نسي الدارسون أنّ الصحوة الإســـلامية غـــير الأصـــولية الإسلامية، فلكل ظاهرة سماتها المستقلة المختلفة عن الأخـــرى، وإذا قبلنا التعليل السابق لظهور الأصولية الإسلامية فيجـــب أن نبحث عن تعليل آخر لظهور الصحوة الإسلامية طالما أنهمـــا في حقيقة الأمر ظاهرتان متمايزتان مختلفتان.

٦- ارتباط الصحوة بعالم واحد أو حزب معيّن:

ربط بعض الدارسين الصحوة الإسلامية بعالم واحـــد، أو بحزب معين، أو جماعة محدّدة، لكن هذا الربط بعيد عن الصواب بسبب أن الصحوة الإسلامية شملت معظم أنحاء العالم الإسلامي، وفي فترات محددة من منتصف القرن الماضي إلى نهايته؛ ولم يعرف العالم الإسلامي عالماً واحداً شمل نفوذه وأفكاره جميع أنحاء العالم الإسلامي، ولم يعرف العالم الإسلامي حزباً معيّناً شمل انتشـــاره العالم الإسلامي جميعه بسبب الحواجز الكثيفـــة الـــتي فرضـــها الاستعمار بين أقطار العالم الإسلامي، فالحقيقـــة أن الصـــحوة

obeikandi.com

جاءت ثمرة تفاعل بين الوحدة الثقافية المغروسة في كيان الأمة وبين جهود علماء مختلفين وجماعات وأحزاب متنوعة على امتداد العالم الإسلامي، ففي تركيا فشل التغريب الذي غرسه أتاتورك عندما أعادت الدولة الأذان باللغة العربية في خمسينات القرن الماضي، وعندما سمح للمدارس الدينية بأن تمارس نشاطها، وسمح للمرأة بأن تلبس حجابها إلخ... وفي الجزائر فازت جبهة الإنقاذ في انتخابات عام ١٩٩١-١٩٩٢م بكل مقاعد البرلمان تقريباً مع أن تشكيلها تم قبل سنتين من تاريخ الانتخابات، ومع أن زعيمها الرئيس عبّاسي مدني لم يكن معروفاً من قبل إلا في نطاق محدود، ويؤكد المثلان في تركيا والجزائر بأن الصحوة الإسلامية لا يقف وراءها عالم واحد أو حزب واحد، بل عدد من العلماء والجماعات والأحزاب، وقس على ذلك بقية البلاد العربية والإسلامية.

والآن بعد أن فندنا الأسباب التي توهم بعض الدارسين أنها كانت وراء الصحوة الإسلامية، فما أسبابها الحقيقية إذن؟ وما ماهيتها؟ لكي نرد على السؤال السابق لابد من استعراض

الظروف التاريخية والسياسية والاجتماعية والفكرية التي سبقت الصحوة الإسلامية.

كانت الحضارة الغربية هو التحدي الأكبر الذي واجه الخلافة العثمانية في القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، وانتهى الصراع بسقوط الخلافة العثمانية بعد الحرب العالمية الأولى، وبتفكيك ولاياتها وسقوط معظمها في قبضة الانتدابين: البريطاني والفرنسي، وارتفعت أصوات تنادي بالتغريب من أجل التخلص من التخلف الحضاري ومن أجل اللحوق بالحضارة الغربية، وكان كمال أتاتورك أبرز من حمل لواء التغريب فألغى الخلافة وأعلن النظام العلماني الذي يقتضي فصل الدين عن الدولة نهائياً، وألغى الشريعة الإسلامية، وأعلن الأذان باللغة التركية، وكتب اللغة التركية بالحرف اللاتيني بعد أن كانت تكتب بالحرف العربي، وأوجب السفور وألغى كل التشريعات الإسلامية المتعلقة بالأسرة إلخ...

ذلك ما قام به كمال أتاتورك على الجانب التركي من الخلافة العثمانية، أما الجانب العربي فقد قادت ايديولوجيا القومية

obeikandi.com

العربية الأمة فيه، واعتبرت اللغة والتاريخ عاملي تكـوين الأمـة العربية، وتنكّرت للدين الإسلامي ولم تعتبره عاملاً من عوامـل تكوينها، وكان ساطع الحصري أبرز من رسخ تلك الايديولوجيا القومية في كل من العراق وسورية بعد أن احتل مراكز تربويـة وعلمية راقية فيهما.

وكانت نتيجة المعطيات السابقة جميعهـا أنّ القيـادات القومية العربية جعلت الحضارة الغربية قدوتها ومثالها، وشـرعت في تغريب الإنسان والمجتمع العربيين، فأحلت الرابطة القومية محل الرابطة الدينية، ونقلت التشريعات الغربية وقوانينـها في كـل مجالات الحياة التجارية والزراعيـة والاقتصـادية والاجتماعيـة والسياسية إلخ... ولم تستثن من ذلك إلا قوانين محدودة تتعلـق بالأحوال الشخصية كالزواج والطـلاق، ونقلـت النمـوذج السياسي الغربي دون أدنى تغيير أو مراعاة لأية ظروف خاصـة، ونسخت النظام الاقتصادي الغربي القائم على النظام الربوي بكل شروره وآثامه، ونشرت الآداب والفنون الغربية مـن مسـرح وسينما وتمثيل ورسم ونحت إلخ... وقد أدى كـل ذلـك إلى

اصطراع عنيف بين النموذج الغربي وبين النمـــوذج الحضـــاري التاريخي لأمتنا الذي عرفته لقرون طويلة.

أما مصر فقد كان صوت التغريب فيها بعد الحرب العالمية الأولى أعلى من صوته في مثيلاتها العربيات، فقد اعتـــبر حـــزب الوفد الذي قاد ثورة ١٩١٩م أنّ الشعب المصري أمة فرعونيـــة مكتفية بذاتها، وقد دعا الدكتور طه حسين عميد الأدب العربي إثر استقلال مصر عام ١٩٣٦م في كتاب "مستقبل الثقافـــة في مصر" إلى أخذ الحضارة الغربية كاملة في كل مجـــال: حلوهـــا ومرها، واعتبر ذلك الطريق الوحيد للرقي وللالتحـــاق بركـــب الحضارة البشرية، وقد شهدت مصر بين الحربين العالميتين معارك فكرية صاخبة كان القصد منها خلخلة البناء النفسي للشـــعب المصري وتهيئته للتغريب الكامل من مثل المعركة التي أثارها علي عبد الرازق في كتابه "الإسلام وأصول الحكم" نافياً وجود حكم يتطلبه الإسلام، ومما يلحق بتلك المعارك الفكرية الصارخة الدعوة إلى كتابة اللغة العربية بالأحرف اللاتينية وإلى تغيير قواعد النحو والإملاء والحجة في كل ذلك التيسير.

ثم جاء جمال عبد الناصر إلى الحكم في عام ١٩٥٢م ونقل مصر من مرحلة القومية الفرعونية إلى القومية العربية، واعتمد في البداية طرح ساطع الحصري القومي العلماني، ثم انتقل عبد الناصر إلى المرحلة الاشتراكية في الستينات [١]، وقد استمرت مصر ماضية في أمر التغريب ولكنّ تغريبها هذه المرة مستمد من الشق السوفييتي الاشتراكي، لذلك حكمت المجتمع التطبيقات الاشتراكية من مثل تأميم وسائل الإنتاج، وقيادة العمال والفلاحين، والصراع الطبقي، والعنف الثوري إلخ... ثم سارت عدة دول عربية على نهج مصر القومي الاشتراكي ومنها: السودان، والجزائر، اليمن، إلخ...

(١) عندما نحا جمال عبد الناصر إلى الاشتراكية وجدنا أن المفردات الاشتراكية هي التي طغت، وأن النظريات الماركسية والشيوعية هي التي سادت الساحة، ووجدنا أن المقولات القومية تراجعت، ووجدنا حركة القوميين العرب ذات النشأة القومية العربية الصرفة تحوّلت إلى حركة تلتزم الايديولوجيا الماركسية بشكل عنيف، فإن دل هذا على شيء فإنما يدل على فقر مضمون القومية العربية، وضآلة محتواها الثقافي، لذلك أمكن تجاوزها بسهولة.

obeikandl.com

والسؤال الآن بعد هذا الاستعراض الموجز لمحاولات التغريب: ماذا كانت نتيجة محاولات القيادات القومية لتغريب بلادنا منذ الحرب العالمية الأولى؟ هل نجحت في ذلك؟ هل أصبحت قيم الغرب وعاداته وتقاليده ونظمه السياسية والاجتماعية والاقتصادية متجذرة في حياة الأمة وجزءاً من كيانها؟ لا لم تصبح بدليل الصحوة الإسلامية التي قامت في مختلف أنحاء العالم العربي من تركيا إلى سورية إلى الأردن إلى مصر إلى تونس إلى الجزائر إلخ... والتي جاءت لتعلن فشل التيار القومي في تغريب الأمة، وقد استندت الصحوة الإسلامية في تفشيلها محاولة التغريب تلك إلى الوحدة الثقافية التي تمثّلت في مفاهيم مستمدة من أحكام الحلال والحرام والواجب والمندوب المطروحة في كتب الشريعة الإسلامية، وظهرت في تقاليد وعادات وأعراف مستندة إلى سيرة الرسول ﷺ ، وبانت في سلوكيات معتمدة على قيم الإسلام وأخلاقه وتوجيهاته، وتجلّت في أفكار مأخوذه من عقائد الإسلام ومبادئه، وقامت على أشواق وأذواق مرتبطة بحديث القرآن عن الجنة والنار إلخ...

وقد شكل القرآن الكريم والسنة المشرفة أساس الوحدة الثقافية لأمتنا، فهما قد أعطيا المسلمين تصوراً واحداً عن الكون والحياة والإنسان، ورسما لهم أهدافاً واحدة تزاوج بين التطلع إلى الآخرة وإعمار الدنيا، وحدّدا لهم قيماً واحدة تقوم على التطهر والتزكي، وأوجبا عليهم واجبات واحدة تعود على الفرد والمجتمع بالخير في الدنيا قبل الآخرة، وأفعما قلوبهم بتعظيم الله ورجائه وحبّه مما أورثهم غنى نفسياً وامتلاءً معنوياً تجسد في أوقاف بلغت ثلث ثروة العالم الإسلامي، ووجّها عقولهم إلى التفكر والتدبر والأخذ بالتجريب والابتعاد عن الأوهام والظنون مما جعلهم يبتكرون مخترعات تغني الحياة البشرية في مختلف العلوم والمجالات: كالفيزياء والكيمياء والميكانيكا والرياضيات والطب والفلك والصيدلة إلخ...

لقد شكلت الوحدة الثقافية التي استندت إليها الصحوة الإسلامية في إفشالها التغريب أبرز مظهر من مظاهر الأمة الواحدة في وقتنا الحاضر بعد أن نجح أعداء الأمة في تمزيق مظاهر الوحدة الأخرى: السياسي والاقتصادي منها، وقد تبين أنّ هذه الوحدة

obeikandi.com

الثقافية أقوى وأعصى على التذويب والتغييب والتفتيت مما يتصورون.

لقد جاءت الصحوة الإسلامية تعبيراً عن رفض الأمة للتغريب من جهة، وقامت استناداً على الوحدة الثقافية للأمة من جهة ثانية .

❋ ❋ ❋

والآن بعد مرور أكثر من ثلاثين سنة على بداية الصحوة، فما الذي أنجزته الصحوة الإسلامية؟ ولماذا كانت محدودة الفاعلية والنتائج؟

obeikandl.com

محدودية فاعلية الصحوة الإسلامية

لقد شكلت الصحوة الإسلامية ظاهرة إيجابية في حياة الأمة الإسلامية، لأنها كانت من مظاهر الانتصار على التغريب الذي قاده الفكر القومي العربي [1]، والذي مثّل أكبر خطر واجه الأمة خلال القرنين السابقين، لكن هذه الصحوة لم تستطع أن تنقل الأمة نقلة نوعية في أية ساحة من الساحات المفتوحة، بل على العكس أنتجت خسائر فادحة في بعض الساحات التي كان

---

(١) التقى بعض الإسلاميين مع القيادات القومية العربية في مؤتمر سمّوه "المؤتمر القومي الإسلامي"، بدأ أول دورة له عام ١٩٩٤م، واستمر في عقد دورة له كل عام، واختاروا له أميناً عاماً ولجنة تنفيذية، ولم يكن القصد من هذا المؤتمر سياسياً بل كان حضارياً بمعنى إنشاء نواة لقاء بين التيارين القومي والإسلامي تؤدي إلى تغيير جذري في كيان الأمة ونهضة جديدة، فلا أدري كيف يتوقع الإسلاميون أي دور لايديولوجيا القومية العربية في بناء نهضة جديدة وهي لم تتراجع عن مقولتها القديمة بنفي أي دور أساسي للإسلام في بناء الأمة؟ فأية نهضة جديدة مع تلك المقولة القديمة؟

الواجب الانتصار فيها وأبرزها الساحة الأفغانية، حيث كان الإسلاميون هم الطرف الفاعل فيها وليست معهم أية فصائل أخرى كالقوميين والاشتراكيين والعلمانيين إلخ...، وحيث توافر لها الدعم من كل العالم الإسلامي، فشارك مقاتلون مع المجاهدين الأفغان من كل الجنسيات الإسلامية من مصريين، وفلسطينيين، وجزائريين، وتونسيين، وفلبينيين إلخ... كما لم ينقصها مال ولا سلاح، كما توفر لها دعم إعلامي لم تحظ به أية ساحة أخرى. ومع ذلك كانت النتيجة سيئة، فلم يستفد المسلمون شيئاً من تلك الساحة، وذهبت كل التوظيفات المالية والجهادية والإعلامية دون جدوى، وعلى العكس أصبح الجهاد الأفغاني مثالاً سيئاً على اضطراب العمل الإسلامي وفشله في تحقيق آماله وأهدافه[1]،

(١) إن وضع القبول الذي تلقاه الجماعات الإسلامية والعلماء المسلمون ناتج من رصيد الدين الوافي عند عموم المسلمين، لذلك فإن فشلهم في نقل الأمة من وضع إلى وضع أفضل، لا يجعلهم يخسرون جهودهم فقط، بل تكون الخسارة على حساب الأمة، وتكون المحصّلة هي تراجع وضع الأمة بشكل عام من جهة، ونقصان رصيد الخير والقوة الذي بناه ←

والآن ما السبب في أن الصحوة لم تستطع أن تنقل الأمة نقلة نوعية ؟ وما السبب في أنها لم تستطع أن تحقق انتصاراً في أية ساحة من الساحات بوعي الأمة ؟ السبب في ذلك عدة أمور هي:

الأول: عدم دراسة التجارب الإسلامية المعاصرة وعدم تقويمها:

واجهت الأمة الإسلامية خلال المائتي سنة أعداء شرسين حاولوا تمزيق وحدتها، وطمس هويتها، ونهب اقتصادها، وتغريب مجتمعها، والتشكيك في ثوابت وجودها إلخ... وقد تصدى لهؤلاء الأعداء علماء مخلصون، قادوا جموعاً كثيرة من أبناء الأمة في معركة المواجهة، ونجحوا في جوانب من المعركة وفشلوا في بعضها الآخر، لكننا بكل أسف لا نجد رصداً لكل هذه المعارك والجهود، وإن وجدنا

السابقون من جهة ثانية، واستقواء العدو ومحاولة استغلاله للفشل في محالة تمكين وضعه من جهة ثالثة.

فإننا لا نعثر على تقويم دقيق وعميق لكل هذه المعارك والجهود من أجل معرفة أخطاء العلماء والجماعات وتجنبها، ومعرفة إصاباتهم والبناء عليها.

ويمكن أن نمثّل على ذلك بالجماعة الإسلامية[1] التي أنشأها أبو الأعلى المودودي في باكستان والتي امتدّ عملها ثلاثة أرباع القرن الماضي، ولو قمنا بإحصاء الكتب التي تناولت تلك الجماعة، وأنشطتها، وأفكارها، ومواقفها، لوجدنا ذلك محدوداً لا يتجاوز عدد أصابع اليد، وقس على ذلك بقية الجماعات والأحزاب كالإخوان المسلمين، وحزب التحرير، وجماعة التبليغ، وجماعة النور في تركيا إلخ... وكذلك نجد أن الصحوة الإسلامية لم تقم بدراسات وافية حول الشخصيات الإسلامية والعلماء المسلمين، وكذلك لم تقم بنقد الكتب الإسلامية للتمييز بين

(١) ألّفت كتاباً تحت عنوان "أبو الأعلى المودودي: فكره منهجه في التغيير، دراسة وتقويم" صدر عام ١٩٩٦م، اجتهدت فيها أن أساهم في سد هذه الثغرة.

obeikandi.com

الغث والسمين، ومن أجل توجيه الأمة إلى الطريق الأقوم، والسبيل الأسلم في كل مجال.

الثاني: القصور في وعي تطورات الحضارة الغربية:

مازالت الحضارة الغربية تمثل التحدي الأكبر لأمتنا كما كانت على مدار القرنين الماضيين، ويقتضي ذلك وعي أسسها التي قامت عليها وعياً تفصيلياً، ووعي تطوراتها، أما وعي أسسها فقد حقق علماؤنا جانباً كبيراً من هذا في مطلع القرن الماضي، ولكن الصحوة الإسلامية مطالبة بوعي تطوراتها العلمية والتكنولوجية والاقتصادية والسياسية إلخ...، والاستفادة من إيجابياتها لتسديد مسيرة الأمة في مجال الإدارة والاقتصاد والاجتماع والسياسة إلخ...، ومما يصعّب القيام بهذه المهمة حجم المعلومات التي تطرحها الحضارة الغربية، والتي تتضاعف بشكل مذهل بسبب تقنيات الكمبيوتر المتقدمة، ولكننا نجد بكل أسف أن الصحوة الإسلامية لم تقدم إنجازات حقيقية في مجال تطورات الحضارة الغربية، بل مازال ينقصها الكثير.

opelkandl.com

الثالث: عدم رسم خطة للاستفادة من التراث الإسلامي:

نملك تراثاً غنياً في كل المجالات وهو واسع في بعضها ومحدود في بعضها الآخر، فهو واسع في مجالات الفقه وعلم الأصول وعلوم الحديث وعلوم القرآن وعلوم اللغة العربية إلخ... وهو محدود في مجال الدراسات الاقتصادية والسياسية وتعليل التاريخ وفلسفة العلوم إلخ... لذلك فالمطلوب من الصحوة الإسلامية التخطيط لكل قطاع على حدة، فالتراث الواسع لا يحتاج إلى مزيد من بذل الجهود العلمية فيه، بل علينا تقنين خطوات الاستفادة منه. وأما التراث المحدود فعلى العلماء بذل جهود علمية في إغنائه وتوسيعه وتطويره على ضوء العلوم والمعارف التي اكتشفتها البشرية في القرون الأخيرة. ولكننا بكل أسف نرى أن جهود كثير من أبناء الصحوة تذهب إلى القطاع الواسع الذي ربما كانت سعته مصدر مشاكل للمسلمين المعاصرين، وتترك القطاع المحدود مع أنه بحاجة إلى إبداع وتفكير وتوسيع، ويمكن أن نمثل على ذلك بكثرة الدراسات الفقهية، وقلة الدراسات التي تناولت كتب السياسة الشرعية والحسبة

obeikandl.com

والاقتصاد الإسلامي وعوامل قيام الدول وسقوطها من أجل استخلاص النظريات الشرعية في مجالات الاقتصاد الإسلامي، والحكم الإسلامي، والسياسة الإسلامية، وحركة المجتمع الإسلامي إلخ... والتي تساعد الصحوة في الرد على أعداء الدين الإسلامي من جهة، وبناء خطواتها القادمة من جهة ثانية.

الرابع: التقصير في إيجاد أوقاف واسعة:

شغلت الأوقاف الإسلامية ثلث ثروة العالم الإسلامي في القرون الماضية، ولعبت دوراً واسعاً في حياة الأمة الإسلامية في مختلف المجالات العلمية والاقتصادية والاجتماعية والصحية والعسكرية إلخ... لذلك يجب على الصحوة الإسلامية أن تستفيد من هذا الماضي المشرق وتخطط لإيجاد أوقاف واسعة وغنية تساعد على تدعيم الجوانب العلمية والصحية والاجتماعية في حياة أمتنا، لكنها بكل أسف لم تقم بشيء حقيقي في هذا المجال.

obeikandl.com

الخامس: القصور في تعميق فهم الإسلام عند جماهير الأمة :

لقد كان من أبرز واجبات الصحوة الإسلامية أن تتجه إلى تعميق وعي المسلمين بالإسلام، والارتقاء بتفكيرهم، وتطوير محاكمتهم العقلية، وتوسيع أفقهم، وزيادة معلوماتهم، وتعريفهم بأهم المشاكل التي تواجههم، وكيفية حلّها إلخ... لكننا نجد أن الصحوة الإسلامية قصّرت في هذا المجال تقصيراً كبيراً، فانتشر الحديث عن السحر وأنواع الجن وطرق التعامل معهم إلخ... واختلط الباطل والشعوذة والأوهام بالحقيقة الدينية والعقلية في هذا المجال، كما انتشر الحديث عن المرأة وزينتها بشكل مفرط ومخز مع تجاهل كبير للأخطار المحدقة بالأمة إلخ...، كما انتشر الحديث عن الرؤى والأحلام والمنامات والكرامات إلخ...، لذلك فإن الصحوة مرت دون تطوير حقيقي لأفهام المسلمين، ودون تحسين نوعي لمعلوماتهم عن الإسلام، ودون توريثهم آلية سليمة في محاكمة الأمور.

obeikandi.com

السادس: القصور في تعميق الوعي السياسي لجماهير الأمة:

لقد كان من أبرز واجبات الصحوة تعميق الوعي السياسي للمسلمين في عدة مجالات، منها: فهم استراتيجيات الدول الكبرى، وكيفية اتخاذ القرار فيها، والأولويات التي تحكم اتخاذ قرارها، كما كان من واجباتها إعطاء صورة دقيقة لوضع الأمة السياسي والاقتصادي والعسكري والاجتماعي إلخ...، وتحديد أهم الأخطار التي تهدد هذا الوضع، كما كان من واجباتها تحديد الأمراض التي أصابت الأمة، ونقاط ضعفها وقوتها إلخ...، وكذلك مما يجب على الصحوة الإسلامية ألا يقتصر نظرها وموقفها وتقويمها لشؤون العالم الإسلامي على اعتماد الجوانب الشرعية فحسب بل يجب أن يتم النظر والموقف والتقويم من خلال عاملين: الجوانب الشرعية من جهة، ومصلحة الأمة من جهة ثانية، وتشمل مصلحة الأمة: اقتصادها، ووحدتها، وقوتها، وسيادتها، وثقافتها إلخ...

obeikandl.com

السابع: القصور في حل مشكلة العمل الجماعي:

هناك ظاهرة ملفتة للنظر في العمل الإسلامي المعاصر هي أن الجماعات التي حملت لواء الإسلام في إطار أهل السنة بقيت محدودة الجماهير، تعاني من قلة تفاعل المسلمين معها، وقلة المقبلين عليها، والمندرجين تحت لوائها، وإن وجدت عكس ذلك في إحدى الفترات فأقبلت الجماهير عليها، فقد حدث لفترة مؤقتة ولأسباب غير شرعية من مثل الإحساس بأزمة اقتصادية معينة أو التفاعل مع قضية وطنية، فتأتي هذه الجماهير وتجتمع مع الجماعات الإسلامية على صعيد واحد ثم تنحسر عنها بعد حين قصير عندما تنتهي الشحنة العاطفية الدافعة إلى هذا الانفعال، والسؤال الآن: لماذا لا يرتبط هؤلاء المسلمون ارتباطاً دائماً بهذه الجماعات؟ ولماذا ينحسرون بهذه السرعة؟

لقد جاء عدم ارتباط المسلمين الدائم بتلك الجماعات نتيجة إشكالية يعانيها أهل السنة إلى الآن: وهي شرعية

obeikandi.com

ارتباط المسلم بالجماعة الإسلامية، هل هو فرض؟ أم مندوب؟ أم متروك لظروف المسلم وأهوائه؟ أم بحسب مصالح ومفاسد معينة؟ أم حرام؟ [1] إلخ...

ربما كان الاضطراب ناتجاً من أن أهل السنة يواجهون لأول مرة في تاريخهم انفراط جماعة المسلمين التي كانوا ينتمون إليها، ويرتبطون بإمامها الذي هو الخليفة، وأن الفقه الإسلامي حرّم أي خروج على جماعة المسلمين، وحرّم تشكيل أية جماعة أخرى تؤدي إلى تمزيق جماعة المسلمين.

ويمكن أن ندرك حجم هذه الإشكالية عند أهل السنة إذا نظرنا إلى تجمعات الطوائف الأخرى في عالمنا العربي

(١) درست ظاهرة القصور في العمل الجماعي عند المسلم المعاصر في كتاب لي تحت عنوان: "الجماعة في الإسلام: المشروعية والإطار" صدر في عام ١٩٩٥م، يمكن أن يعود إليه من شاء التفصيل في معرفة أسباب هذه الظاهرة، والحلول المقترحة لها.

والإسلامي، ودققنا في هياكلها التنظيمية، ودورها في تسيير شؤون الطوائف، وتحقيق مكاسبها.

تحدثنا فيما سبق عن محدودية فاعلية الصحوة الإسلامية، والأسباب التي كانت وراء هذه المحدودية، وليس من شك بأن القيادات الإسلامية أضاعت فرصة ثمينة كان بإمكانها أن تنقل الأمة من خلالها إلى آفاق أخرى.

* * *

تكلمنا في الفصل السابق عن الصحوة الإسلامية، وبيّنا مظاهرها، وأسباب قيامها، ووضحنا العوامل التي أدت على محدودية فاعليتها، وسنستعرض في الفصل القادم أهم الأخطار التي تهددّها بشكل خاص، وتهددّ الأمة بشكل عام.

obeikandl.com